The Institution of the Hashemite Throne in the Hejaz between Politics and Administration during the Reign of Sharif Hussein Bin Ali 1916-1924 AD

Qais Munther Al-Khatib
Faculty of Arts – Zarqa University
kalkhatib@zu.edu.jo

Anas Nayef Al-Amoush
Faculty of Arts/Zarqa University
aomoush@zu.edu.jo

Received : 29/5/2025 Accepted:15/6/2025

Abstract:

This study aims to examine the political and administrative role of the Hashemite Royal Palace in the Kingdom of Hejaz during the reign of Sharif Hussein bin Ali during the period 1916-1924 AD. The problem of the study lies in explaining this role, its size and importance. Therefore, the study seeks to answer two main questions: (What is the political role played by the Hashemite Royal Palace in the Kingdom of Hejaz during the reign of Hussein bin Ali during the period mentioned above? And what was the administrative role of the palace during that period?). Hence, this study is based on the hypothesis: "The Hashemite royal palace during the reign of Sharif Hussein bin Ali played a major and effective role in the political and administrative aspects of the Kingdom of Hejaz during his reign, and that this had a positive impact on the Kingdom of Hejaz". To answer the questions and achieve the research objectives, the study relies on two approaches (descriptive analytical and levels of analysis approach). The research is divided into (introduction and two chapters: the first: the political role of the Hashemite royal palace in the Kingdom of Hejaz during the reign of Sharif Hussein bin Ali during the period 1916-1924 AD, and the second: the administrative role of the Hashemite royal palace in the Kingdom of Hejaz during the reign of Sharif Hussein bin Ali during the period 1916-1924 AD, and a conclusion.

Keywords:. Sharif Hussein Bin Ali, Hashemite Era, Kingdom of Hejaz, Mecca, Hashemite Royal Palace.

مؤسسة العرش الهاشمي في الحجاز بين السياسة والإدارة في عهد الشريف الحسين بن علي 1916–1924م

قيس منذر الخطيب أنس نايف العموش
كلية الآداب – جامعة الزرقاء. كلية الآداب – جامعة الزرقاء
kalkhatib@zu.edu.jo aomoush@zu.edu.jo

الاستلام :2025/5/29 القبول :2025/6/15

الملخص:

الأهداف: تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الدور السياسي والإداري للقصر الملكي الهاشمي في مملكة الحجاز، في عهد الشريف الحسين بن علي خلال الفترة (1916–1924م)، وتكمن مشكلة الدراسة في بيان هذا الدور وحجمه وأهميته، لذا سعت الدراسة للإجابة عن تساؤلين رئيسيين، هما: (ما هو الدور السياسي الذي أدّاه القصر الملكي الهاشمي في مملكة الحجاز في عهد الحسين بن علي خلال الفترة المشار إليها أعلاه؟ وما هو الدور الإداري للقصر خلال تلك الفترة؟).

المنهجية: لدراسة وتحليل المصادر والمراجع الرئيسية والدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة، فقد اعتُمدت مناهج معاصرة في دراسة الدور الوظيفي (السياسي والإداري) للمؤسسات والأفراد وتحليله، حيث تتطلب طبيعة هذه الدراسة استخدام أكثر من منهج، فبالإضافة للمنهجين: (التاريخي، والوصفي التحليلي)، فستعتمد أيضًا على منهج مستويات التحليل، وفق مبدأ التكامل المنهجي للوصول بالدراسة إلى تحقيق أهدافها.

النتائج: تمكن الباحثان من تحقيق الهدف من الدراسة، وتقديم محاولة للإجابة عن أسئلة البحث الرئيسية، وتمكنا من إثبات الفرضية التي انطلقا منها، وهي: (إنّ القصر الملكي الهاشمي في عهد الشريف الحسين بن علي قد كان له دور رئيسي وفعال من الناحيتين السياسية والإدارية في مملكة الحجاز خلال فترة حكمه، وذلك انعكس إيجابًا على مملكة الحجاز).

الكلمات المفتاحية: الشريف الحسين بن علي، العهد الهاشمي، مملكة الحجاز، مكة المكرمة، القصر الملكي الهاشمي.

المقدمة.

أدّى تعيين الشريف الحسين بن علي أميرًا على مكة والحجاز، بفرمان من السلطان عبد الحميد الثاني عام (1908م) (الموسى، 2007م، ص27)؛ إلى تعاظم دور القصر الهاشمي في السياسة والإدارة والخدمات، ليس على مستوى مكة المكرمة فحسب، بل على مستوى الحجاز، وأسّس ذلك لمرحلة جديدة عنوانها الاستقلال والرفعة والتقدم والازدهار، كيف لا وقد علّق السلطان نفسه إثر إصداره لفرمان تعيين الشريف بقوله: "لقد خرجت الحجاز من يدنا، واستقلّ العرب وتشتّت ملك آل عثمان بتعيين الشريف الحسين أميرًا على مكة المكرمة، ويا ليته يقنع بإمارة مكة المكرمة وباستقلال العرب فقط، ولكنه سيعمل إلى أن ينال مقام الخلافة لنفسه" (الجندي، 2016، ص12).

لقد أدّى الشريف الحسين بن علي دورًا مهمًّا في رفعة أهل الحجاز وأبناء المشرق العربي بشكل عام، قبل توليه إمارة مكة المكرمة، وذلك باستغلال عضويته في مجلس شورى الدولة العثمانية، وفرضه لحضوره الشخصي، وتمثيله لأبناء أمته (سعيد، 1939م، ج1، ص3)، وما أن تولى إمارة مكة حتى لمس مواطنوها بل وزوار بيت الله الحرام فيها النقلة النوعية في مختلف الصعد، وعلى رأسها شؤون البلاد السياسية والإدارية والخدمية (الجندي، 2016، ص19).

ولم يتوقف ذلك على شخص الحسين بن علي، بل جعل للعمل المؤسسي دورًا في هذه المرحلة، وارتقى بالقصر الملكي الهاشمي ليكون له دور بارز ليس على مستوى الإمارة فحسب، بل على المستويين الإقليمي والدولي، وفتح أبوابه على مصراعيها لكلّ إنسان قصده، فآوى كلّ مظلوم أو مقهور مطارد، فارًّا من بلده بدينه أو عرضه أو ماله ونفسه، يطلب العون والحماية، وذلك تجسيدًا لمبادئ الثورة العربية الكبرى التي أطلقها.

أمّا على مستوى الحكم والإدارة، فكان القصر هو الموجّه والمشرف والمتابع لكافة مناحي الحياة في الإمارة التي أعلنها الحسين بن علي مملكة حجازية، وكان الحسين شخصيًّا يتفقّد

ويتابع، بل يتنكّر أحيانًا ليرى الأمور على حقيقتها، ويتأكد من أنّ الأمور تسير بالشكل الصحيح الذي يرتضيه.

أهمية الدراسة:

تتركّز أهمية هذه الدراسة بشكل عام في بيان الدور الفاعل للقصر الملكي الهاشمي في الحجاز، في عهد الشريف الحسين ابن علي خلال الفترة (1916– 1924م)، وتحديدًا فيما يتعلق بسياسة الحكم وإدارة شؤون البلاد، في محاولة للمساهمة في **إبراز الدور الذي كرّسه الشريف الحسين بن علي** للقصر الملكي في شؤون الحجاز المختلفة بشكل عام، ومن الناحيتين السياسية والإدارية بشكل خاص، وذلك باعتماد المنهجية العلمية في هذه الدراسة، وتقديم نتائج علمية يمكن استخدامها من قبل الأكاديميين في دراسات مُتقدمة في هذا المجال.

بالإضافة إلى **إلقاء الضوء على الدور البارز الذي أدّاه القصر الملكي الهاشمي في إدارة شؤون الحجاز** المختلفة في عهد الشريف الحسين بن علي من الناحية العملية، بشكل يمكن الاستفادة منها في التعاطي مع هذا الدور، والاستفادة منه رسميًّا وشعبيًّا، وتقديم معلومات يمكن الاستفادة منها عمليًّا في وضع تصور وفهم حقيقي وواضح لهذا الدور الذي أسهم في رفعة الحجاز في تلك الفترة، وأسّس لمرحلة لاحقة تمّت الاستفادة منها على مستوى الدول العربية فيما بعد.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الدور السياسي والإداري للقصر الملكي الهاشمي في مملكة الحجاز في عهد الشريف الحسين بن علي خلال الفترة (1916–1924م).

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في بيان دور الذي أدّاه القصر الملكي الهاشمي في مملكة الحجاز في عهد الشريف الحسين بن علي خلال الفترة (1916–1924م)، خصوصًا في مجالي السياسة والإدارة، وحجم هذا الدور وأهميته.

أسئلة الدراسة:

- ما هو الدور السياسي والإداري الذي أدّاه القصر الملكي الهاشمي في مملكة الحجاز في عهد الحسين بن علي خلال الفترة (1916– 1924م)؟

فرضية الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة من فرضية (**أنّ القصر الملكي الهاشمي في عهد الشريف الحسين بن علي قد كان له دور رئيسي وفعال من الناحيتين السياسية والإدارية في مملكة الحجاز خلال فترة حكمه، وأنّ ذلك قد انعكس إيجابًا على مملكة الحجاز**).

منهجية الدراسة:

ستقوم الدراسة بتحليل ودراسة المصادر الرئيسية، والمراجع الرئيسية، والدراسات ذات الصلة، التي تتضمّن المعلومات والإحصائيات الرسمية والتحليلات المتعلقة بدور القصر الملكي الهاشمي، ممثلًا بدور الشريف ومؤسسة القصر في شؤون الحكم في مملكة الحجاز من الناحيتين السياسية والإدارية، وعليه فإنّ هذه الدراسة ستعتمد على المناهج المعاصرة في دراسة الدور الوظيفي (السياسي والإداري) للمؤسسات والأفراد وتحليله؛ لأنّها ستعمد إلى التحليل والتفسير وليس الوصف فقط، فهي تنطلق من تصور نظري (موضوع الدراسة)، يسمح بتحليله على أساس فرضيات الدراسة، والعلاقات الارتباطية بين متغيراتها، وبناءً عليه تتطلب طبيعة هذه الدراسة استخدام أكثر من منهج، هي: **المنهج التاريخي:** وتتركّز أهميّته في دارسة الأحداث والوقائع وتحليلها، والوصول للطريقة المثلى لاستخدام المراجع التاريخية التي استندت إليها هذه الدراسة، **والمنهج الوصفي التحليلي:** الذي يُعنى بوصف الدراسات والحقائق والأرقام وتحليلها؛ لمناقشة فرضية الدراسة، كما ستعتمد أيضاً على **منهج مستويات التحليل**، وفق مبدأ التكامل المنهجي للوصول بالدراسة إلى تحقيق أهدافها، وفيما يأتي تفصيل بكيفية توظيف هذه المناهج في الدراسة:

- **منهج مستويات التحليل:**

(Waltz Level of analysis Approaches)

لقد اعتمدت المدرسة الواقعية في دراستها للظاهرة السياسية على مستويات التحليل الثلاثة وهي: (النظام الدولي، الدولة، والقيادة والفرد)، حيث تبنت الواقعية الكلاسيكية المستوى الثالث وهو الفرد (ميكافللي ووهوبز)، بينما اعتمدت الواقعية الجديدة (مورغانثاو) في تبنّي المستويين الثاني والثالث، فيما تبنّت الواقعية الجديدة البنيوية (والتز) مستويات التحليل الثلاثة. لذا يعتبر هذا المنهج من أكثر المنهاج الملائمة لدراسة الدور السياسي والإداري للقصر الملكي الهامشي، وللدور الشخصي الذي أدّاه الحسين بن علي في هذا السياق؛ نظرًا للمنهجية الشمولية التي يتمتع بها هذا المنهج، والتكامل في تحليل الظاهرة السياسية من مستوى التحليل الكلي (Macro)، وهو المعني في التركيز على النظام الدولي والإقليمي، ثمّ إلى مستوى التحليل الجزئي (Micro)، وهو المعني في التركيز على المستوى

الوطني أو على المستوى الفردي خاصة صناع القرار. (جندلي، 2007م، ص 167).

لقد ساهم المفكر كينث والتز (K.Waltz) مؤسس المدرسة الواقعية الجديدة البنيوية (Neo-Realism) وأحد روادها، في تقديم تحليل للعلاقات الدولية باعتماد ثلاثة مستويات لبناء نظرية لتحليل النظام الدولي وتوازن القوى، فقد اعتمد على النظام الدولي (الكلي) كمستوى أساسي للتحليل، وعلى الدولة (الجزئي) كمستوى ثانوي للتحليل، على اعتبار أنّ الدول تتميّز عن بعضها بعضًا على أساس القوة لا على أساس الوظيفة، رغم إدراكه بوجود ثلاثة مستويات للتحليل (جندلي: 2007: 184)، من خلال كتابه المعنون بـ(الإنسان–الدولة–الحرب)، وفيه استعرض ما أسماه الصور الثلاثة (images) التي ترد ضمنها معظم التحليلات عن السياسة الدولية (جندلي، 2007م، ص 186)، وهي:

1. الأفراد والقيادة (Individual Leadership).
2. الدولة (States).
3. النظام الدولي (the international system).

بعد دراستنا لمستويات التحليل، يمكن الجزم بالأهمية المنهجية للمدرسة الواقعية الجديدة؛ لاعتمادها على مستويات التحليل في دراستنا هذه؛ لتفسير وتحديد الدور الذي يؤدّيه القصر الملكي الهاشمي، وانعكاساته على سياسات الدولة بشكل عام، فقد سمحت للباحثين بالترتيب المنطقي للدراسة اعتمادًا على أسس أكثر علمية، وبالتالي إمكانية الوصول إلى نتائج لها مصداقية تمكن من الإجابة عن مشكلة الدراسة وتساؤلاتها وفرضيتها.

هيكلة الدراسة:

تم تقسيم البحث إلى: مقدمة، ومبحثين: الأول: الدور السياسي للقصر الملكي الهاشمي في مملكة الحجاز في عهد الشريف الحسين بن علي خلال الفترة (1916–1924م)، والثاني: الدور الإداري للقصر الملكي الهاشمي في مملكة الحجاز في عهد الشريف الحسين بن علي خلال الفترة (1916–1924م)، وخاتمة.

حيث تناولت **المقدمة:** أثر تعيين الشريف الحسين بن علي أميرًا على مكة والحجاز بفرمان من السلطان عبد الحميد الثاني عام (1908م)، إلى تعاظم دور القصر الهاشمي في السياسة والإدارة والخدمات، ليس على مستوى مكة المكرمة، فحسب بل على مستوى الحجاز، وأسّس ذلك لمرحلة جديدة عنوانها الاستقلال والرفعة والتقدم والازدهار، والدور المهم الذي أدّاه الشريف الحسين في رفعة أهل الحجاز وأبناء المشرق العربي بشكل عام، قبل توليه إمارة مكة المكرمة، وما أن تولى إمارة مكة حتى لمس مواطنوها بل وزوار بيت الله الحرام فيها النقلة النوعية في مختلف الصعد، وعلى رأسها شؤون البلاد السياسية والإدارية والخدمية.

أما **المبحث الأول:** فتناول الدور السياسي للقصر الملكي الهاشمي في مملكة الحجاز، في عهد الحسين بن علي خلال الفترة (1916– 1924م)، فاشتمل على وصف القصر الملكي الهاشمي في مكة المكرمة، دور القصر الملكي الهاشمي في الرقابة على أداء المؤسسات الحكومية، فيما تضمّن **المبحث الثاني:** فتناول الدور الإداري للقصر الملكي الهاشمي في مملكة الحجاز في عهد الحسين بن علي خلال الفترة (1916–1924م)، مستعرضًا دور القصر الملكي الهاشمي في خدمة بيت الله الحرام، والحجاج والمعتمرين، وإصلاح المسجد الحرام، بالإضافة إلى كسوة الكعبة المشرفة، والاهتمام بدار الكتب المكيّة، وبدائرة الصحة.

وفيما يتعلق **بالخاتمة** فتضمنت (النتائج) التي توصل إليها الباحثان: من تحقيق البحث للهدف منه، وقدما محاولة للإجابة على أسئلة البحث الرئيسية، وتمكن الباحثان من إثبات الفرضية التي انطلقا منها، وهي: **(أنّ القصر الملكي الهاشمي في عهد الشريف الحسين بن علي كان له دور رئيسي وفعال من الناحيتين السياسية والإدارية في مملكة الحجاز خلال فترة حكمه، وأن ذلك قد انعكس إيجابًا على مملكة الحجاز).**

المبحث الأول: الدور السياسي القصر الملكي الهاشمي في مملكة الحجاز في عهد الحسين بن علي خلال الفترة (1916–1924م).

- **أولًا: وصف القصر الملكي الهاشمي في مكة المكرمة.**

اتّخذ الشريف الحسين بن علي من القصر الذي كان يقيم فيه بمكة المكرمة مقرًّا، تقصده الوفود المختلفة من جميع المناطق، ومن خلاله كان الملك الحسين يدير شؤون الحجاز وأموره الخاصة والعامة، وهذا القصر قد بناه محمد علي باشا، وأهداه السلطان حسين كامل سلطان مصر إلى الشريف الحسين بن علي (صحيفة المقطم، ع (8306)، 12 تموز 1916م، ص 1.).

ويبعد هذا القصر عن مكان البيت الذي ولد فيه النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– بنحو مئة متر، ويتكون من مجلس الحكم؛ وهو مجلسٌ واسع فُرشت أرضه بالسجاد الفاخر، ومحاط بالمسانيد من اليمين والشمال والخلف، وفي وسط سقفه" مروحة" من الحرير الأبيض؛ لجلب الهواء طولها متر ونصف

وعرضها متر، مدلاة بحبال من الحرير متصلة بخارج المكان يديرها خادم مخصوص (صحيفة المقطم، ع(8306)، 12 تموز 1916م، ص 1.)

وكان يقف في باب مجلس الحكم اثنان من ذوي البشرة السمراء المحملين بالخناجر والمسدسات، وتكوّن القصر من غرفتين للحرس الملكي؛ واحدة كان يجلس فيها الضابط العسكري الذي يقوم بتبليغ الأوامر الصادرة من الشريف حسين، وتنفيذها بوساطة الحرس الملكي الموجودين في غرفة أخرى تلي غرفة الانتظار، وهذه إلى يمين الداخل إلى مجلس الحكم، وعلى اليسار غرفة مكتب الملك الخصوصي، وهي لا تزيد على أربعة أمتار طولًا، وثلاثة أمتار عرضًا (صحيفة المقطم، ع(8306)، 12 تموز 1916م، ص 1.).

وقد احتوى القصر أيضًا على هاتف، كان الشريف الحسين يتواصل من خلاله بشكل دائم بالأطراف الأخرى على المستوى الداخلي والخارجي. كما ضمّ القصر الملكي الهاشمي مكتبة، وقاعة خاصة لاستقبال الوفود والقادمين لرؤية الشريف؛ حيث كانت القاعة طويلة واسعة، أرضها مغطاة بالسجاد الأعجمي، وفي وسطها طاولة مصنوعة من العاج منقوش عليها آيات قرآنية وزخارف إسلامية، ووضعت عليها ساعة من الذهب والفضة؛ أهديت إلى الشريف الحسين من الحكومة الفرنسية (الزركلي، 2009م، ص 46؛ صبري بك، 1924، ص 77؛ صحيفة المقطم، ع(8306)، 12 تموز 1916م، ص1)، وكانت هذه القاعة تمثّل مقرًّا للقاء الشريف بالوفود القادمة إلى مكة المكرمة ومكانًا لإدارة الشؤون العامة.

وكان للشريف الحسين بن علي في القصر أيضًا مكتب صغير بديع الصنع من خشب الجوز، نقشت على جانبيه آيات قرآنية كلها بالقلم الفارسي ومنها آية: "والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون"؛ إضافة إلى وجود كرسي مغطى بالحرير مصنوع من أجود أنواع الخشب (صبري بك، 1924، ص 77؛ صحيفة المقطم، ع(8306)، 12 تموز 1916م، ص 1).

- **ثانيًا: دور القصر الملكي الهاشمي في الرقابة على أداء المؤسسات الحكومية.**

كان الشريف الحسين بن علي حريصًا على نجاح مشروعه القومي والسياسي، بأن تكون دولته مستقلة وقوية ومتطورة في الوقت نفسه، ولها دورها المُهم على مستوى المنطقة، وهذا ما جعله يشرف بنفسه على كلّ الصعد، ويتفقّد الطرقات، ويزور المؤسسات. ومن الأمثلة على ذلك ما أورده أحمد السباعي[1] الذي عاصر الشريف الحسين بن علي، وكان أحد طلاب المدرسة الراقية بمكة المكرمة؛ بقوله: أحيانًا يتخفّى ويقوم بدور السلطة الرقابية في مكة المكرمة خاصة والحجاز عامة، فيقول في هذا الصدد: "ومن طرائف الحسين التي تسجّل أنّه زار مدرستنا مرة بصورة مفاجئة لا يتخيّلها عقل". (السباعي، 2016م، ص ،138).

وقال السباعي في هذا الصدد أيضًا: "نما إلى الحسين أنّ موظفي البلدية لا يبادرون إلى أعمالهم من الصباح الباكر؛ فأراد أن يمتحن الأمر بنفسه، فركب إليها مبكرًا، ودار بين غرفها فلم يجد أحداً" (السباعي، 2016م، ص 141).

وبيّن خير الدين الزركلي[2] الذي زار مكة المكرمة في عام (1920م)، وأقام في ضيافة الشريف الحسين في قصره , متحدثًا عن حرصه على متابعة شؤون رعيته، وتحسّس حاجاتهم وهمومهم ومشاكلهم بتفقّد أوضاعهم ليلًا بقوله: "فتراه يتنكّر في بعض الليالي ويطوف أزقة مكة المكرمة وأسواقها، يتسمّع ما يتحدث به أهلها، ويبصر ما هم صانعون" (الزركلي، 2009م، ص 151).

وممّا يدلّ على أنّ الشريف الحسين كان يقوم بدور مهم في مكة المكرمة؛ أنّه استدعى إلى قصره صاحب بيت كان يمارس السهر والغناء في بيته؛ وكان هذا أمرًا مُحرّمًا بأمر ملكي في

---

[1] أحمد بن محمد بن أحمد السباعي (1905–1984م)، أديب، كاتب، صحفي، ولد بمكة المكرمة، تعلم في المدرسة الراقية بمكة المكرمة في عهد الشريف الحسين بن علي، التحق بالعمل الصحفي في العهد السعودي. انظر: اليسوعي، روبرت، أعلام الأدب العربي المعاصر، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط1، 1996م، ج1، ص 697، الجعيدي، سعيد علي، أحمد السباعي أديبًا، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1999م، ص 11–26؛ رمضان، محمد خير، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، ط2، 2002م، 3ج، ج1، ص 59.

[2] خير الدين الزركلي (1893–1976م): هو خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، شاعر ومؤلف عربي سوري، من مواليد بيروت، عمل في الصحافة فأصدر "مجلة الأصمعي"، ثمّ "جريدة لسان العرب"، ثمّ شارك بإصدار "جريدة المفيد"، وعلى إثر معركة ميسلون غادر إلى فلسطين، ثمّ مصر، ثمّ الحجاز، وحكم عليه الفرنسيون غيابيًّا بالإعدام عام 1920م. انتدبه الشريف الحسين بن علي لمساعدة ابنه "الأمير عبدالله" بإنشاء الحكومة الأولى في شرقي الأردن، حيث كلف بمنصب مفتش عام في دائرة المعارف، ثمّ رئيسًا لديوان الحكومة بين عامي (1921–1923م). له العديد من المؤلفات، منها: "الأعلام"، "عامان في عمان"، "ما رأيت وما سمعت"، وغيرها. توفي عام 1976م. انظر: البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1992م، ص 220، وسيشار إليه لاحقاً: البعلبكي، معجم أعلام المورد.

مكة المكرمة، حيث أشار السباعي: أن مدير المدرسة الراقية بمكة المكرمة؛ عبد الوهاب خياط[3]، دُعي لمقابلة الحسين في قصره، فلمّا مثل بين يديه قال له: لقد نما إليّ أنّ بعضهم يحيي ليالي غناء في بيت بعض جيرتكم، فهل لك أن تصدقني؟ فلم يحاول الشيخ أن يراوغ بل قال: "إنّه بيتي... وأنا الذي أحيي فيه بعض ليالي الغناء في نفرٍ من أساتذة المدرسة بشكل بريء كل البراءة لا يشوبه حرام ولا يختلط به مشتبه فيه". عندها اقتنع الحسين بما قاله عبد الوهاب خياط وسرّته نبرة الصدق، وأخذ ينصحه ليقلع عن مثل هذا اللون من السلوك: "يا ابني زيكم أساتذة ... لازم يسهروا في طلب العلم.. في المذاكرة.. في شيء.. أقول في شيء ينفع مو في زي هادا الهلس". (السباعي، 2016م، ص 137). وهذا يدلّ على أنّ الشريف حسين كان له عيون في مكة المكرمة وحاراتها.

وهذه الأمثلة القليلة التي تمّ إيرادها، تدلّ على أنّ الشريف الحسين بن علي كان يمارس دور المراقب لشوارع مكة المكرمة ومؤسساتها، وقصره هو المراقب على أيّ تخاذل أو تقصير أو تجاوز للقانون.

ويصف محمد رشيد رضا في رحلته إلى مكة المكرمة، الشريف الحسين واهتماماته في الشؤون العامة والخاصة، حتى أمور المنزل وشؤون الضيوف والوفود ونفقاتهم، ومصالح البدو وصلاتهم، قائلًا: "إنّ الشريف الحسين ينظر في كلّ شيء من شؤونه الخاصة، وشؤون البلاد العامة، حتى أمور المنزل وشؤون الضيوف والوفود ونفقاتهم، ومصالح البدو وصلاتهم، وقد أعطاه الله تعالى قوة غريبة فهو يشتغل بالنظر في ذلك كله عامة النهار ولا يشكو مللًا ولا تعبًا". (رحلات محمد رشيد رضا، 1971م، ص 203).

ولم يقتصر دور الشريف الحسين على ذلك؛ فكان يتابع بعض مرتكبي الجرائم، حيث تمّ ملاحقة أحد التجار المدعو أحمد إسلام (تركي)؛ إذ كان يتاجر بمادة السّكّر، بعد أن قام باحتكارها، وحاول الشريف الحسين حرق داره، ولكن لم يوفق بذلك، وعلى إثرها هرب المدعو إسلام إلى بلاده (تركيا)، وبعدها صادر الشريف الحسين دكانه وداره في جرول، التي أصبحت فيما بعد "المدرسة الزراعية في مكة المكرمة" (العموش، 2020م، ص 84).

والملاحظ أيضًا أنّ الشريف الحسين كان يستعين بأولاده في بناء الدولة ومؤسساتها في الحجاز، وجلب موظفين لها؛ وهذا ما يتضح من خلال البرقية التي أرسلها الشريف الحسين في (1919/2/24م)، إلى الأمير زيد يطلب منه إحضار أساتذة حتى ولو أجانب، لفتح كلية طب وزراعة في الحجاز (العموش، 2020م، ص 86).

وكان الشريف الحسين بن علي يتابع منظومة الصحافة، وهذا ما أجمع عليه بعض المعاصرين، فيقول خير الدين الزركلي عن جريدة القبلة: "بأنّها لسان حاله (الشريف حسين) والمعبرة عن آرائه وأفكاره، ويضيف أنّه كان يكتب مقالات كثيرة، يعرفها قراؤها بأسلوب كتابته الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل" (الزركلي، 2009م، ص 155). وقد أكد على ذلك آخرون؛ بأنّ الشريف الحسين "كان يشرف بنفسه على جريدة القبلة، وأنّه كان يحرّر بيده بعض مقالاتها" (السباعي، 1999م، ج2، ص 699).

المبحث الثاني: الدور الإداري القصر الملكي الهاشمي في مملكة الحجاز في عهد الحسين بن علي.

خلال الفترة 1916 – 1924م

أولًا: دور القصر الملكي الهاشمي في خدمة بيت الله الحرام.

حرص القصر الملكي الهاشمي على خدمة بيت الله الحرام، ووفوده من الحجاج والمعتمرين؛ فقد أعلن الشريف الحسين بن علي منذ وصوله مكة المكرمة عام (1916م)، البدء في اتخاذ إجراءات عديدة لخدمة الحجاج والمعتمرين، وكلّ ما يتعلق بخدمة بيت الله الحرام، ومن هذه الإجراءات والتدابير الآتي بيانه:

- **خدمة الحجاج والمعتمرين.**

توجّهت عناية القصر الملكي الهاشمي في (22) آب عام (1916م) إلى اتّخاذ كلّ أسباب الراحة لحجاج بيت الله الحرام؛ من خلال تعيين عدد من اللجان لخدمة حجاج بيت الله الحرام؛ حيث تقوم كلّ لجنة بخدمة عدد من حجاج الدول الإسلامية؛ ويكون أعضاء هذه اللجنة من أبناء تلك البلاد الذين يقيمون في الحجاز، كما أمر القصر الملكي الهاشمي بإنشاء سقيفة على رصيف ميناء جدة؛ ليستظل بها الحجاج عند نزولهم إلى الميناء؛ لتقيهم الحر، وتزوّدهم بمياه الشرب؛ إضافة إلى إلغاء بعض الضرائب التي كانت تفرض على الحجاج زمن الحكم العثماني، كما وضع عدد من أفراد الشرطة في زورق خاص عند كلّ باخرة تصل إلى ميناء جدة؛ لحماية حجاج بيت الله الحرام وخدمتهم. (القبلة، ع(3)، 22 آب 1916م، ص 3.)

كما قام القصر الملكي الهاشمي بتوفير المياه للحجاج والزوار والمقيمين في مكة المكرمة؛ حيث اهتمّ بتوفير المياه في

[3] عبد الوهاب خياط: كان مدير المدرسة الراقية الهاشمية بمكة المكرمة، انظر: السباعي، 2016، ص 137.

عرفات ومنى (القبلة، ع(298)، 15 تموز 1919م، ص 2، ع(313)، 11 أيلول 1919م، ص 3، ع(331)، 13 تشرين الثاني 1919م، ص 2،)؛ ونظرًا لأهمية مكة المكرمة الدينية، كونها مقصدًا للمسلمين من المناطق العربية وخارجها، والتعامل مع عدد كبير من الوفود القادمة ومعاملاتهم، فقد ارتأت شرطة مكة المكرمة استحداث دائرة شرطة خاصة بالحجاج في بداية حزيران عام (1919م)؛ سمّيت بإدارة شرطة المسجد الحرام، وتُعنى بأمر الحجاج ومصالحهم والتعامل مع مفقوداتهم، وقد ترأسها الشيخ سليمان أزهر، وموقعها بباب الوداع (القبلة، ع(287)، 2 حزيران 1919م، ص 2).

وكان القصر الملكي الهاشمي حريصًا على تأمين قوافل الحجاج القادمة إلى بيت الله الحرام؛ فقام في عام (1921م) بدفع مبالغ مجزية إلى زعماء قبيلة حرب؛ لتأمين الحجاج من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة (الشرقي، 1963م، ص 175).

وفي نهاية أيار عام (1923م) أمر القصر الملكي الهاشمي ببناء مظلة للمسعى بدأها من "المروة" إلى "بيت باناجه" في "الرحبة" التي يتقاطع معها "المسعى" وشارع "القشاشية"؛ وقد أزيلت هذه السقيفة في عهد عبد العزيز آل سعود (القبلة، ع(690)، 28 أيار 1923م، ص 2، ع(691)، أيار 1923م، ص 2؛ رفيع، 1981م، ص 272).

وبسبب تزايد عدد الحجاج الوافدين من البلاد الإسلامية كافة، اتّخذ القصر الملكي الهاشمي إجراءات وتدابير صحية لضمان راحة الحجاج وسلامتهم؛ لذا أوعز بتشكيل هيئة مخصّصة في بلدية مكة المكرمة؛ للنظر في شؤون النظافة، واتّخاذ التدابير الصحية اللازمة للحفاظ على راحة الحجاج وسلامتهم، وتكليف الأطباء بالكشف على منازل الحجاج ومساكنهم في كلّ أسبوع مرتين، والبحث عن سائر الأمور الحيوية والصحية، ووضع قائمة لعدد الحجاج على أبواب غرفهم، بحيث يتطابق الرقم الموضوع مع العدد الفعلي (القبلة، ع (377)، 22 نيسان 1920م، ص 2،ع(690)، 11 آذار 1924،ص1-2).

وأن تكون غرف الحجاج ومجالسهم نظيفة ومُطهّرة دائمًا، ومنع الطبخ داخلها، وتُفرش هذه الغرف بالحصير لمنعهم من الجلوس على التراب، وتشميس هذه الحصر كلّ ثلاثة أيام، وتخصيص مطعم لتأمين طعام الحجاج، وعلى المُطوّف تعيين خادم لغسل مراحيض دور الحجاج وتنظيفها (القبلة، ع (377)، 22 نيسان 1920م، ص 2،ع(690)، 11 آذار 1924،ص1-2). وعلى المُطوّفين أن يزوروا حجاجهم كلّ صباح ومساء؛ لتفقد أحوالهم الصحية، وفي حال وجِد أحد الحجاج مريضًا تبلّغ الدائرة الصحية، وإذا مرّ يومان ولم تُبلّغ الدائرة يُحبس المُطوّف حبسًا شديدًا (القبلة، ع (377)، 22 نيسان 1920م، ص 2،ع(690)، 11 آذار 1924، ص1-2).

وتشرف هذه الهيئة على رشّ المنطقة ما بين الصفا والمروة بالماء في موسم الحج، ومساعدة البؤساء، وذوي الاحتياجات الخاصة، الذين لا يستطيعون السير والنهوض إلى المستشفى، ومنع الناس من الرقود في جوار الحرم الشريف (القبلة، ع (377)، 22 نيسان 1920م، ص 2،ع(690)، 11 آذار 1924، ص1-2).

وقد أدّت هذه الهيئة دورًا كبيرًا في خدمة حجاج بيت الله الحرام؛ من خلال الإعلان عن مفقودات الحجاج بذكر الشيء المفقود، وتحديد مكان استلامه وهو "البلدية" (القبلة،ع (780)، 4 نيسان 1924م، ص 3) . وإدارة شعب البريد التي وضِعت تحت إدارة البلدية؛ نتيجة لتزايد عدد الحجاج وزيادة مراسلتهم، فقد كانت تقوم بقبول المكاتيب المرسلة لسائر البلدان (القبلة، ع (383)، 13 أيار 1920م، ص 3).

وقد تعاملت شرطة المسجد الحرام مع حوادث سرقة عديدة ضُبط مرتكبوها، حيث خاطبت شرطة المسجد الحرام الحجاج والإعلان عن مفقوداتهم من خلال جريدة القبلة، وذلك بنشر خبر وفقًا للآتي: "من إدارة المسجد الحرام الذي نعلنه للعموم أنّ كلّ من نسي شيئًا بالمسجد الحرام فليراجع دائرة شرطته بباب الوداع، ويأتي بوصف ما هو له ليستلمه" (القبلة، ع(305)، 7 آب 1919م، ص 2، ع(606)، 2 27 تموز 1922م، ص 3، ع(692)، 4 حزيران 1923م، ص 3، ع(702)، 8 تموز 1923م، ص 2).

دور القصر الملكي الهاشمي في إصلاح المسجد الحرام.

أصدر القصر الملكي الهاشمي أوامره في (26) أيلول عام (1916) للشروع في تعمير ما هدمه الأتراك في المسجد الحرام والكعبة المشرفة، عند قيام الثورة العربية الكبرى عام (1916م)، حيث تمّ البدء بتنظيف المسجد الحرام، وإصلاح دار آمنة بنت وهب، وبيت خديجة، ودار ابن الأرقم، وبئر زمزم، ودار الندوة، وغيرها من الأماكن في الحجاز (القبلة، ع 13، 26 أيلول 1916م .، ص 3، ع(302)، 29 تموز 1919م، ص 2؛ العبدلي، 1999م، ص 30).

وكان المسجد الحرام يُضاء في العهد العثماني بقناديل الزيت والشموع، وكانت توضع على باب الكعبة ثلاثة شمعدانات[4] من المعدن الأبيض، وعلى حائط "الحجر" عدة شمعدانات من النحاس الأصفر، وكذلك بعض المقامات. أمّا حول المطاف فكان يُضاء بقناديل الزيت، وابتداءً من عام (1916م)، أبدل الشريف الحسين بن علي الشمعدانات التي على الحجر باللمبات الكوس؛ ويقول عنها المكيون: "الأتاريك[5]"، وزاد في أربع جهات من المطاف بضع مصابيح منها لزيادة الإضاءة، وفي عام (1917م) جُلبت ماكينة لتوليد الكهرباء، وخصّصت لإضاءة المطاف، وتوسّع الشريف حسين في إضاءة المسجد "بالأتاريك" مرة أخرى، وجُلبت ماكينة أكبر إضافة إلى الأولى في عام (1918م)؛ لإضاءة المسجد الحرام بالكهرباء مع بقاء الاستعانة بالأتاريك السابق ذكرها (العموش، 2020م، ص 91).

كسوة الكعبة المشرفة:

اهتم الشريف الحسين بكسوة الكعبة المشرفة، فلما وقع الخلاف بينه وبين المصريين في عام (1922م)؛ بسبب منعه من نزول البعثة الطبية التي صحبت المحمل والكسوة الشريفة؛ لأسباب سياسية، حيث كان لدى الشريف الحسين ما يبرّر موقفه، وذلك يرجع لخوفه من تدخّل اليد الأجنبية وبسط نفوذها على الحجاز عامة، ومكة المكرمة خاصة؛ بوساطة هذه البعثة في وقت كانت مصر تحت الاحتلال الإنجليزي، وسمح الشريف الحسين للحجاج والكسوة بالنزول؛ فأبى المصريون نزول الكسوة إلا إذا نزلت البعثة الطبية، وتعنّد المصريون ولم يتفق الطرفان، وأمرت الحكومة المصرية بإرجاع الباخرة بما عليها ومعهم الكسوة الشريفة ولم ينزلوها؛ نظرًا لهذا الموقف من قبل الشريف الحسين. (الكردي، 2000م، ج3، ص 567؛ باسلامة، 1999م، ص 342؛ مداح، 2005م، ص 164). عندها أمر الشريف الحسين بجلب الكسوة الشريفة التركية المحفوظة في مستودع الحرم النبوي، التي صنعتها الحكومة العثمانية في الآستانة عام (1914م)، فنقلت هذه الكسوة إلى ميناء رابغ عن طريق البر، وحملتها الباخرة الهاشمية المسماة "رشدي" من رابغ ووصلت ميناء جدة، وما أن حلّ وقت إلباس الكعبة كسوتها في عام (1922م) إلّا والكسوة بمكة المكرمة؛ فألبست الكعبة بها؛ مما سبّب دهشة في الأوساط المصرية؛ لعدم علمهم بهذه الكسوة الشريفة التركية، وكانت الكسوة في غاية البهاء والجمال، وخشي الشريف الحسين ألّا ترسل الحكومة المصرية الكسوة الشريفة في عام (1923م)؛ فأمر بعمل كسوة في العراق من القيلان الأسود، ووصلت مكة المكرمة، وحُفظت بمستودع المسجد الحرام، لكن العلاقات تحسّنت مع الحكومة المصرية؛ فأرسلت مصر الكسوة الشريفة، وبقيت الكسوة المصنوعة من القيلان الأسود محفوظة في مكة المكرمة (الكردي، 2000م، ج3، ص 567؛ باسلامة، 1999م، ص 342؛ مداح، 2005م، ص 164).

كما شارك الشريف الحسين بن علي في غسل الكعبة المشرفة؛ فقد وصف عبد العزيز صبري بك صاحب كتاب "تذكار الحجاز" حفل غسيل الكعبة المشرفة في عام (1923م)، وقد حضره إلى جانب الشريف الحسين بن علي، وباشر معه عملية الغسل، وشاهد ما يجري داخل الكعبة لحظة غسلها، وكيف كان الشريف الحسين بن علي يقوم بهذا العمل (صبري بك، 1924م، 79).

نلاحظ مما سبق أن الشريف الحسين قد قام بأعمال جليلة لخدمة الحرم المكي ووفوده من الحجاج والمعتمرين؛ ومن هذه الأعمال: عنايته بتوفير المياه لسكان مكة المكرمة والحجاج، وإصلاح المسجد الحرام، وإيصال الكسوة المشرفة إلى مكة المكرمة في موعدها المعتاد. كما أنّه أدرك أنّ الكسوة قد خضعت للأهواء السياسية في إرسالها أو الامتناع عنها، فقام بعمل كسوة بالعراق في سبيل الظهور بأبهى الصور خلال موسم الحج من كل عام.

وفي عام (1922م) قامت الحكومة الهاشمية بشراء أربع بواخر صغيرة الحجم، وهي: الطويل، ورشدي، والرقمتين، ورضوى؛ لحمل الحجاج والبضائع التجارية، ولكن بسبب صغر حجمها، كانت تنقل القليل من الحجاج والبضائع؛ فقد وصلت أول باخرة هاشمية إلى ميناء جدة في بداية أيار عام (1922م)؛ حاملة (1800) طرد تجاريّ و(20) راكبًا من الحجاج. وفي بداية تشرين الأول من العام نفسه، وصلت الباخرة "طويل" حاملة (700) راكب. وفي الشهر نفسه وصلت الباخرة "رشدي" حاملة 218 راكباً. (Jeddah Diaries, 1990 vol .2 .1922, pp29, 75؛ القبلة، ع(582)، 1 أيار 1922م، ص 1؛ القبلة، ع(623)، 3 تشرين الأول 1922م، ص 2؛ القبلة، ع(624)، 6 تشرين الأول 1922م، ص 2، ع(625)، 10 تشرين الأول 1922م، ص 2).

ومن المفارقات المُهمّة التي يجب الانتباه والإشارة إليها ما كان من تراجع أعداد الحجاج مع بداية الحرب العالمية الأولى،

---

[4] شمعدانات: لفظ فارسي مركب معناه الشيء الذي توضع فيه الشموع لإيقادها. انظر: الخطيب، مصطفى، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996م، ص 276؛ عطية، رشيد، معجم عطية في العامي والدخيل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص 94.

[5] الأتاريك: هي مصابيح كبيرة تضاء بالكيروسين.

إلّا أنّ هذه الأعداد زادت خلال الأعوام (1916–1923)؛ فقد بلغ عدد الحجاج القادمين عبر ميناء جدة في عام 1916م (7720) حاجًّا، وفي عام (1917م) (7963) حاجًّا، وفي مصدر آخر قدر بحوالي الخمسين ألفًا، أمّا في عام (1918م) فقد بلغ عددهم (7133) حاجًّا، وفي عام (1922م) (101208) حاجًّا، وفي عام (1923م) وصل عددهم (117653) حاجاً .(RECORDS OF THE HIJAZ, Arab BuIletin, vol .2. 1917, .p.425؛ vol,7, p 490؛ Jeddah Diaries,vol 2,pp 7-91)

ويتبيّن أنّ أعداد الحجاج قد زادت بعد انتهاء حروب الثورة العربية عام (1918م)، حتى نشوب الحرب الحجازية النجدية بين عامي (1924–1925).

وقامت الحكومة الهاشمية في عام (1920م) بوضع أربعة فروع للبريد داخل مكة المكرمة؛ لاستلام الرسائل مراعاة لمصالح الحجاج، وكانت هذه الفروع في المناطق الآتية: تحت مبنى دائرة البلدية في أجياد، وبجانب دائرة البلدية الأولى بحارة شبيكة، وبجانب دائرة البلدية بسوق المعلا، وفي الشركة الوطنية (القبلة، ع(382)، 10 آذار 1920م، ص 2).

- **ثانيًا: دور القصر الملكي الهاشمي في الاهتمام بدار الكتب المكية.**

وصفت دار الكتب المكية؛ بأنّها دار كتب عامّة، وأنّها عبارة عن وقف في مكة المكرمة إبّان الحكم العثماني، وكان أهل الحجاز والقادمون إليها يستفيدون من هذه الدار، وينهلون من علومها، وكان قربها من الحرم المكي ملاصقة لباب دريبة[6]، وأصبحت الدار بمثابة مزارً للحجاج الوافدين إلى مكة المكرمة، وقد قامت الحكومة الهاشمية بإيعاز من الشريف الحسين بن علي في بداية أيلول عام (1916)؛ بصيانة دار الكتب المكية وإصلاحها، وجعلها بيئة مناسبة لأهل العلم، بعد الإهمال الذي تعرضت له في نهاية الحكم العثماني، حيث شكا من ذلك كل من وفد إلى هذه الدار (القبلة، ع (8)، 8 أيلول 1916م، ص 3)

وقد كلّفت الحكومة الهاشمية محمود حقي عدلي بفهرسة محتويات هذه الدار، ونشر أسماء محتوياتها في جريدة القبلة (القبلة،ع (13)، 26 أيلول 1916م، ص 1). وهذا يدلّ على حرص الشريف الحسين ورغبته في إثراء الحياة العلمية وازدهارها؛ انطلاقًا من العناية بهذه الثروة العلمية المتنوعة. وقد انعكس هذا الاهتمام على أهل مكة المكرمة، الذي بدا واضحًا بتأسيس محلّ خاص لتجليد الكتب والعناية بها. (القبلة، ع(443)، 25 كانون الأول 1920م، ص 2).

أمّا محتويات دار الكتب المكية التي نشرتها "جريدة القبلة"، حيث فقد زادت عن خمسة آلاف مجلد توزّعت بين كتاب ومخطوط (القبلة، ع (16)، 6 تشرين الأول 1916م، ص 4، ع (18)، 17 تشرين الأول 1916م، ص 4).

- **ثالثًا: دائرة الصحة.**

عانت منطقة الحجاز عامّة ومكة المكرمة خاصة في أواخر الحكم العثماني من تدهور الحالة الصحية، وانتشار الأمراض والأوبئة بوصفها مستقطبة من خلال وفود الحجاج من مختلف البلاد، وهذا التنوّع في الحجاج، واختلاف العادات والتقاليد وأساليب الحياة والنظافة الخاصة يشكل خطرًا، بالإضافة إلى الأمراض التي يحملونها، وقد أدّى عدم الاهتمام الكافي بالجانب الصحي والنظافة العامة في نهاية الحكم العثماني ، وعدم الوعي لدى الحجاج، واستخدام المشارب المشتركة، وإلقاء النفايات والذبائح في الطرقات، إلى توفر بيئة خصبة للأمراض والأوبئة (صاري، 2001م، ص 41، 239).

وقد رصدت لنا المصادر أمراض عديدة، من أبرزها: (مرض الصدر، والاحتقانات الدماغية، وأمراض العيون، وضربات الشمس، وأمراض الجهاز الهضمي، وأمراض الكبد، والجدري، والكوليرا، والطاعون) (البتنوني، 2008م، ص 63).

وقد بلغ مجموع الإصابات في الكوليرا والطاعون في مكة المكرمة في عام (1911) مثلًا (31) إصابة، تُوفي منها (12) شخصًا، وفي عام (1912) بلغت الوفيات في مكة المكرمة (1924) حالة وفاة؛ بسبب مرض الكوليرا (المؤمني، 2008م، ص 221، 226). وهذا الأمر دفع الحكومة الهاشمية منذ استلامها، إلى الاهتمام بالجانب الصحي، ومسك زمام الأمور من خلال إنشاء دائرتين:

- الأولى: الدائرة الصحية التابعة لبلدية مكة المكرمة المشار إليها سابقًا.
- الثانية: الدائرة الصحية الرئيسيّة في مكة المكرمة.

تأسسّت الدائرة الصحية الرئيسيّة عام (1917م)، واتّخذت من الدائرة الصحية العثمانية[7] في منطقة أجياد بمكة المكرمة

[6] باب دريبة: يعرف بهذا الاسم قديمًا، وهو واقع في ركن المسجد الحرام بالقرب من باب السلام، ولم يعرف سبب تسميته بهذا الاسم، وهذا الباب منفذ من المسجد الحرام إلى شارع سويقة. للمزيد انظر: ابن فهد، جار الله محمد، نخبة بهجة الزمان بعمارة مكة لملوك بني عثمان، تحقيق: قيس كاظم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ص 153.

[7] الدائرة الصحية العثمانية: أسسها عثمان نوري باشا في أجياد، كانت مكونة من طبيب وصيدلاني ومضمّد للجراح. انظر: رفيع، 1981م، ص 228.

مقرًّا لها، بعد أن عملت على تأهيل البناء من جديد، وتأمين الكادر الوظيفي المكون من: (أطباء، وصيادلة، ومستخدمين، وكتبة)، وتوفير أسرّة للمرضى، وصيانة الغرف والعمل على إصلاح بلاطها، وإنشاء غرف خاصة لغسل الملابس، وأماكن الطهي، وإصلاح الغرف في الطابقين: الأرضي والعلوي، وجُلبت الأدوات الصحية والجراحية اللازمة للدائرة، وإضافة حديقة خاصة بالدائرة الصحية تحتوي على الأزهار والنباتات والأشجار؛ لراحة سكان مكة المكرمة والحجاج. (القبلة، ع(54)، 19 شباط 1917م، ص 3، ع (55)، 22 شباط 1917م، ص 2).

وقد باشرت هذه الدائرة مهامها في بداية عام (1917م)، وبدأت باستقبال المرضى وعلاجهم، وتعاقب على رئاسة هذه الدائرة، الأطباء الآتية أسماؤهم: محمد سليم، ومحمد الحسيني، ونديم صلاح (القبلة، ع(57)، 1 آذار 1917م، ص 3، ع(60)، 11 آذار 1917م، ص 2، ع(96)، 17 تموز 1917م، ص 2، ع(146)،14 كانون الثاني 1918م، ص 3).

وقد شملت الدائرة الصحية الأقسام الآتية: (القبلة، ع(57)، 1 آذار 1917م، ص 3، ع(158)، 25 شباط 1918م، ص 2).

1. قسم الأطباء، ومنهم: محمود حمدي وتوفيق أحمد.
2. قسم الصيادلة، ومنهم محمد حسنين.
3. قسم الممرضين، ومنهم: عبد الله بن محمد مكي، ودرويش خسيفان، وسراج عقاد، ومحمد بن أحمد شاه، وعلي بن محمد فاضل، وعثمان بن أحمد بخارى، ومحمد بن أحمد سليمان مدني.
4. قسم الكتبة، ومنهم: إبراهيم بن عايض، وسراج بن عمر، ومحمد سراج عابد، وسيف الدين رجب.

كما عُيّن للدائرة الصحية: الطهاة، والغسالون، وبواب، وبستاني، وقد كان يعلن عن هذه الوظائف في جريدة القبلة (القبلة، ع(568)، 13 آذار 1922م، ص 4).

أما أبرز مهام الدائرة الصحية الرئيسة، فتكمن بالآتي:

- **إدارة المشافي ومراقبتها وتقدمها.**

كان في مدينة مكة المكرمة مشفيان رئيسان، هما: المشفى الصحي التابع للدائرة الصحية الرئيسة، والمشفى الأهلي (مشفى القبان قديماً[8])، وتمّ تأسيس مشفى في بحرة؛ الواقع بين جدة ومكة للعناية بحجاج بيت الله الحرام (القبلة، ع (295)، 4 تموز 1919م، ص 2، ع(298)، 15 تموز 1919م، ص 2). وقد قامت الدائرة الصحية في تأمين ما يلزم هذه المشافي من: أدوات، وأسرّة، واستحداث غرف عمليات جراحية، وجلب أطباء من الحجاز وخارجها خاصة من: سوريا، ومصر. (القبلة، ع(308)، 18 آب 1919م، ص 2). وعملت الدائرة الصحية على إصدار تقارير شهرية إحصائية، نعرض نماذج بعضها، حيث بلغ الذين حضروا للعيادة الخارجية خلال شهر كانون الأول عام (1921م) من الجنود (347) مراجعًا، و(173) شرطيًّا، أمّا تلاميذ المدرسة الحربية فقد بلغ عددهم (67) مراجعًا، ومن الأهالي (400) شخص، واقتصر عدد المساجين على (36) فردًا. (القبلة،ع(547)، 31 كانون الأول 1921م، ص 3).

لقد تطوّرت الحالة الصحية العامة في عهد الشريف الحسين ابن علي بالحجاز كثيرًا، ونلحظ ذلك من خلال مقارنة جريدة "الكوكب المصرية" بين الحالة الصحية في مكة المكرمة زمن الحكم العثماني والهاشمي، بقولها: كان المرضى زمن الحكم التركي يتحاشون الذهاب إلى مستشفى القبان، ولا يأمنون النوم فيه؛ لأن قلة عناية أطبائه في ذلك الوقت، وعدم اهتمامهم بالمرضى؛ جعلت الناس يعتقدون أنّ كلّ من دخل المشفى يموت فيه، ولكن بعد النهضة المباركة فقد بقي لهذا المستشفى نصيب من عناية جلالة الملك الحسين، فرتّبت له المرتبات الكافية، وعيّن له الأطباء والصيادلة والكتبة والجراحون والممرضون، وكل ما يلزم من اللوازم (الكوكب (القاهرة)، ع(109)،3 أيلول 1918م، ص 4).

وهكذا نرى مدى اهتمام الحكومة الهاشمية بالجانب الصحي، والعمل على النهوض بالحالة الصحية العامة من خلال العناية بالمشافي وتطويرها.

- **الوقاية.**

عملت الدائرة الصحية على التصدي للأمراض ومعالجتها، والوقاية منها من خلال التدابير الصحية اللازمة، ومنها:

---

[8] مستشفى القبان: يعدّ من أقدم المنشآت الصحية في الحجاز عامّة ومكة المكرمة خاصة، والمشهور أنّه كان دارًا لأبي سفيان، ثم جعلته الدولة العثمانية مستشفى كبيرًا، وسبب نسبة المستشفى إلى القبان هو أنّه كانت في هذه الدار توزن أكياس الحبوب والسمن والعسل ونحوها بميزان طويل (القبان)، يثبت فيه ما يراد وزنه ثمّ يحمله شخصان لمعرفة مقدار الوزن في مقابل أجر معين. انظر: حمزة، فؤاد، البلاد العربية السعودية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط2، 1968م، ص 206.

- البحث عن منشأ المرض وحصره من خلال معرفة أسبابه ومحاصرته إن كان معديًا، وكان ذلك عندما انتشر وباء الطاعون في عامي (1916 و1917م): "بناء على ما تحقّق من وجود طاعون في عدن، فقد قررت إدارة الصحة في مكة المكرمة وضع حجر صحي مدة (24) ساعة على السفن البخارية والشراعية القادمة من ثغر عدن، وإجراء ما يلزمها من التطهيرات الصحية" (القبلة،ع(74)، 1 أيار 1917 ص 2،ع(215)، 23 أيلول 1918، ص 1).
- جلب المطاعيم وإلزام الأهالي باصطحاب الأطفال إلى مقر الدائرة الصحية، والمشفى الأهلي (القبلة،ع(63)، 28 جمادى الأولى 1335هـ/ ص2. ع (477) 13 شعبان 1339هـ/ 22 نيسان 1921م، ص2). وقد كانت تعلن عن قدوم المطاعيم بشكل دوري من خلال "جريدة القبلة"؛ وذلك كما ورد في الإعلان الصادر في عام (1921م) على النحو الآتي: "أبلغنا فخامة نائب رئيس الوكلاء أنّه قد استحضرت كمية من الأنابيب الخاصة بتلقيح الجدري والطاعون، وأنّ دائرة الصحة تباشر تطعيم الأطفال والكبار مجانًا في كلّ يوم من الساعة (12) صباحًا إلى (3)، ومن الساعة (9) مساءً إلى 11". (القبلة، ع(110)، 6 أيلول 1917، ص 2).
- إنشاء ما أسمته بالأفران لجمع النفايات فيها والتخلص منها وحرقها لحماية البيئة العامة من الأمراض؛ بسبب انتشار النفايات وتراكمها في مكة المكرمة (القبلة،ع(306)، 11 آب 1919م، ص 2).
- العمل على تطبيق الحجر الصحي في (جزيرة أبي سعد) في مدينة جدة، وقد اختير هذا المكان؛ بسبب وجود الميناء الذي تقصده سفن الحجاج، وقد تم ذلك بالتعاون ما بين مجلس بلدية مكة المكرمة، ومدير الصحة العامة، وصحة جدة، ومفتش الحجر الصحي، واتّخذت الإجراءات الآتية (القبلة، ع(77)، 11 أيار 1917 ص2؛ The Arab BuIletin, .vol. 4. 1919. pp11-12):
- اتخاذ التدابير الصحية على جميع السفن القادمة إلى ميناء جدة.
- العناية بنظافة الطرقات والأسواق وتخصيص عربات لنقل النفايات، وتعيين مراقبين صحيين للإشراف على ذلك.
- محاربة الفئران والقضاء عليها بوصفها السبب الرئيس وراء انتشار الطاعون.

ويتّضح لنا ممّا سبق مدى اهتمام الحكومة الهاشمية بالجانب الصحي، والعمل على النهوض بالحالة الصحية من خلال العناية بالمشافي وتطويرها، والعمل أيضًا على محاربة الأوبئة التي كانت منتشرة آنذاك، التي أودت بحياة الكثيرين من أهالي مكة المكرمة والوافدين من الحجاج؛ إضافة لوقوف الحكومة الهاشمية على أسباب انتشار الأوبئة والأمراض، واتخاذ الإجراءات الوقائية كالمطاعيم، والحجر الصحي، والنظافة.

الخاتمة:

خلُصت الدراسة إلى عدة نتائج من أبرزها:

- حرص الشريف الحسين على نجاح مشروعه القومي والسياسي؛ بأن يكون الحجاز وعاصمته مكة المكرمة مستقلة ذات سياسة وقوة ودور مهمّ في المنطقة، وهذا ما جعله يشرف بنفسه على كلّ الصعد، ويجوب الطرقات –متنكرًا أحيانًا– ويزور المؤسسات؛ فكلّ هذا الجهد المبذول من قبله، لا يدلّ إلا على حرصه من أجل تحقيق حلمه ذاك، لكن مدة الحكم في الحجاز كانت قصيرة (1916–1925)، حيث أسهمت الظروف السياسية الدولية والتنافس مع آل سعود؛ إلى انهيار حلم الشريف الحسين بن علي بإقامة دولة ذات قوة تمكنها من الاستمرار طويلًا.
- على مستوى الحكم والإدارة، كان القصر هو الموجّه والمشرف والمتابع لكافة مناحي الحياة في الإمارة التي أعلنها الحسين بن علي مملكة حجازية، وكان الحسين شخصيًّا يتفقّد ويتابع، بل يتنكّر أحيانًا ليرى الأمور على حقيقتها، ويتأكد من أنّ الأمور تسير بالشكل الصحيح الذي يرتضيه.
- كان الشريف الحسين بن علي يتابع منظومة الصحافة بنفسه، وكانت "جريدة القبلة" لسان حاله، والمعبرة عن آرائه وأفكاره، وكان يكتب فيها مقالات كثيرة، يعرفها قُرّاؤها بأسلوب كتابته، كما كان الشريف يشرف بنفسه على جريدة القبلة ويحرر بيده بعض مقالاتها.
- حرص القصر الملكي الهاشمي على خدمة بيت الله الحرام، ووفوده من الحجاج والمعتمرين؛ من خلال إعلان الشريف منذ وصوله مكة المكرمة عام (1916م) البدء في اتخاذ إجراءات عديدة لخدمتهم، وتوفير كل أسباب الراحة لهم، الأمر الذي أسهم في رفع أعداد الحجاج والمعتمرين وازديادها.
- قامت الحكومة الهاشمية بإيعاز من الشريف الحسين في بداية أيلول عام (1916م)؛ بصيانة دار الكتب المكية وإصلاحها، وجعلها بيئة مناسبة لأهل العلم، وفهرسة محتوياتها، وتأسيس محلّ خاص لتجليد الكتب والعناية بها؛ حرصًا من الشريف على إثراء الحياة العلمية وازدهارها.

- اهتمام الشريف الحسين بالجانب الصحي بإنشاء دائرتين للصحة، والنهوض بحالة المشفيين اللذين كانا في مكة المكرمة، وتأسيس مشفى جديد في بحرة؛ للعناية بحجاج بيت الله الحرام، وبأهالي مكة والحجاز؛ الأمر الذي حقق تطورًا ملحوظًا في الحالة الصحية العامة في الحجاز في عهد الشريف، والإنجاز الذي تحقّق في محاربة الأوبئة التي كانت منتشرة، وأودت بحياة الكثيرين من أهالي مكة المكرمة والوافدين من الحجاج؛ إضافة لوقوف الحكومة الهاشمية على أسباب انتشار الأوبئة والأمراض، واتّخاذ الإجراءات الوقائية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن فهد، ج، (2010م)، نخبة بهجة الزمان بعمارة مكة لملوك بني عثمان، تحقيق: قيس كاظم، دار الكتب العلمية، بيروت.
2. باسلامة، ح، (1999م)، تاريخ الكعبة المعظمة: عمارتها، كسوتها، سدانتها، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض.
3. البتنوني، م،(2008م)، الرحلة الحجازية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3.
4. البعلبكي، م، (1992م)، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ط1.
5. الجعيدي، س، (1999م)، أحمد السباعي أديبًا، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
6. جندلي، ع، (2007م)، تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
7. الجندي، خ، (2016م) الشريف حسين بين سلاطين آل عثمان وجمعية الاتحاد والترقي، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت.
8. حماش، خ، (2016)، وثائق أرشيفية عن تعمير عين زبيدة بمكة المكرمة 1880م، مجلة دارة الملك عبد العزيز، الرياض، مج 42، ع1.
9. حمزة، ف، (1968م)، البلاد العربية السعودية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط2.
10. الخطيب، م، (1996م)، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.
11. رحلات محمد رشيد رضا، (1971م)، تحقيق: يوسف أيبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.
12. رفيع، م، (1981م)، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، منشورات نادي مكة الثقافي، ط1.
13. رمضان، م، (2002م)، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، ط2.
14. الزركلي، خ.(2009م)، ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة، تحرير وتقديم، مفيد نجم، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي.
15. السباعي، أ، (1999م)، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.
16. السباعي، أ، (2016م)، أيامي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط2.
17. سعيد، أ، (1939م)، الثورة العربية الكبرى: تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، مكتبة مدبولي، القاهرة.
18. الشرقي، ع، (1963م)، الأحلام، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ط1.
19. صاري، ج، (2001م)، الحجر الصحي في الحجاز (1865–1914م)، ترجمة عن التركية: عبد الرازق بركات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1.
20. صبري بك، ع، (1924م)، تذكار الحجاز (خطرات ومشاهدات في الحج)، المطبعة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب، القاهرة.
21. صحيفة القبلة (1916–1924م): دينية سياسية اجتماعية، تصدر مرتين في الأسبوع لخدمة الإسلام والعرب من مكة المكرمة.
22. صحيفة الكوكب (القاهرة): سياسية أدبية أسبوعية كانت تصدر من القاهرة، صدر منها (166) عدداً أصدرها محمد القليقيلي الأزهري (1916–1919). السنوات المستخدمة (1918).
23. صحيفة المقطم (1888–1952م): جريدة يومية سياسية، أسسها يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس في القاهرة.
24. العبدلي، ع، (1999م)، المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
25. العموش، أ، (2020م)، مكة المكرمة عاصمة ممكلة الحجاز في العهد الهاشمي، مركز التوثيق الملكي، عمان، الأردن.

26. عطية، ر، (2003م)، معجم عطية في العامي والدخيل، دار الكتب العلمية، بيروت.
27. غباشي، ع.(1989م)، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة، والمشاعر المقدسة في العصر العثماني، رسالة دكتورة، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة.
28. الكردي، م، (2000م)، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق: عبدالملك دهيش، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ط1.
29. مداح، أ، (2005م)، اهتمام العثمانيين بكسوة الكعبة المشرفة وتطورها في العصر الحديث 1517–1927م، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج17، ع35.
30. المسعى النبيل، (2016م)، الأمير زيد والحكومة العربية في دمشق (1918–1920)، جمع وإعداد: سعد أبو دية، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
31. الموسى، س، (2007م)، من تاريخنا الحديث، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ط1.
32. المومني، ن، (2008م)، مصر والأوضاع الصحية في الحجاز خلال مواسم الحج أواخر العهد العثماني 1900–1918م، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق.
33. اليسوعي، ر، (1996م)، أعلام الأدب العربي المعاصر، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط1.

Referances:

1) Bidwell, R. (Ed.). (1916–1919). The Arab bulletin: The bulletin of the Arab Bureau in Cairo.
2) Burdett, A. L. P. (Ed.). (1996). Records of the Hijaz (1798–1925). Archive Editions.
3) Jerman, R. L. (Comp.). (1990). Jeddah diaries. Archive Editions.
4) Ibn Fahd, J. (2010). The elite of the joy of time in the architecture of Mecca for the kings of the Ottomans (Q. Kazim, Ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
5) Basalama, H. (1999). History of the Holy Kaaba: Its architecture, covering, custodianship. General Secretariat for the Celebration of the Centenary of the Founding of the Kingdom of Saudi Arabia.
6) Al-Batanuni, M. (2008). The Hijazi journey (3rd ed.). National Library and Archives.
7) Al-Baalbaki, M. (1992). Dictionary of notable figures of Al-Mawrid (1st ed.). Dar Al-Ilm Lil-Malayin.
8) Al-Jaidi, S. (1999). Ahmed Al-Sabai as a writer (Master's thesis, Umm Al-Qura University).
9) Jandali, A. (2007). Research techniques and methods in political and social sciences. Office of University Publications.
10) Al-Jundi, K. (2016). Sharif Hussein between the Ottoman sultans and the Committee of Union and Progress. Lebanese University Publications.
11) Hamash, K. (2016). Archival documents on the reconstruction of Ain Zubaydah in Mecca in 1880. King Abdulaziz Foundation Journal, 42(1).
12) Hamza, F. (1968). The Arab countries of Saudi Arabia (2nd ed.). Al-Nasr Modern Library.
13) Al-Khatib, M. (1996). Dictionary of historical terms and titles (1st ed.). Al-Risala Foundation.
14) Rida, M. R. (1971). The travels of Muhammad Rashid Rida (Y. Aybish, Ed.; 1st ed.). Arab Foundation for Studies and Publishing.
15) Rafiʿ, M. (1981). Mecca in the fourteenth century AH (1st ed.). Mecca Cultural Club Publications.
16) . Ramadan, M. (2002). The supplement to Al-Aʿlam by Al-Zarkali (2nd ed.). Dar Ibn Hazm.
17) Al-Zarkali, K. (2009). What I saw and heard from Damascus to Mecca (M. Najm, Ed.; 1st ed.). Dar Al-Suwaidi for Publishing and Distribution.
18) Al-Sabai, A. (1999). The history of Mecca: Studies in politics, science, sociology, and urbanism. General Secretariat for the Celebration of the Centenary of the Founding of the Kingdom of Saudi Arabia.
19) Al-Sabai, A. (2016). My days (2nd ed.). Arab Diffusion Foundation.
20) Saʿid, A. (1939). The Great Arab Revolt: A detailed and comprehensive history of the Arab question in a quarter century. Madbouly Library
21) Al-Sharqi, A. (1963). *Dreams* (1st ed.). Al-Ahliya Printing and Publishing Company.
22) Sari, J. (2001). *Quarantine in the Hejaz (1865–1914)* (A. Barakat, Trans.; 1st ed.). King Faisal Center for Research and Islamic Studies.
23) Sabry Bey, A. (1924). *Tadhkar al-Hijaz (Thoughts and observations on Hajj).* Al-Salafiyah Press.
24) *Al-Qibla Newspaper*. (1916–1924). Religious, political, and social newspaper published in Mecca.
25) *Al-Kawkab Newspaper*. (1916–1919). Weekly political and literary newspaper published in Cairo.

its development in the modern era (1517–1927). *Umm Al-Qura University Journal of Sharia Sciences, Arabic Language, and Literature, 17*(35).

33) Abu Diya, S. (Comp.). (2016). *Al-Masʿa Al-Nabil: Prince Zaid and the Arab government in Damascus (1918–1920).* Dar Amjad for Publishing and Distribution.

34) Al-Moussa, S. (2007). *From our modern history* (1st ed.). Jordanian Ministry of Culture.

35) Al-Momani, N. (2008). Egypt and the health conditions in the Hijaz during the Hajj seasons in the late Ottoman era, 1900–1918. *Journal of Historical Studies, Damascus University.*

36) Al-Yusuʿi, R. (1996). *Figures of contemporary Arabic literature* (1st ed.). United Distribution Company.

26) *Al-Muqattam Newspaper.* (1888–1952). Daily political newspaper published in Cairo.

27) Al-Abdali, A. (1999). *The Grand Mosque in the heart of King Abdul Aziz.* King Fahd National Library.

28) Al-Amoush, A. (2020). *Mecca, the capital of the Kingdom of Hejaz during the Hashemite era.* Royal Documentation Center.

29) Attia, R. (2003). *Attia's dictionary of colloquial and foreign words.* Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.

30) Ghabbashi, A. (1989). *Water facilities serving Mecca and the Holy Sites during the Ottoman era* (Doctoral dissertation, Umm Al-Qura University).

31) Al-Kurdi, M. (2000). *The true history of Mecca and the Holy House of God* (A. Dahish, Ed.; 1st ed.). Dar Khedr for Printing and Publishing.

32) Maddah, A. (2005). The Ottomans' interest in the Kiswa of the Holy Kaaba and